برنامج (أخلاق اجتماعية)

الدكتور محمد خير الشعال

http://dr-shaal.com

الحلقة الأولى:
(المدخل)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلَّم على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، أرحب بكم -أيها الإخوة المستمعون- في برنامجكم الجديد "أخلاق اجتماعية"، وسأكون برفقتكم فيه على مدار ثلاثين حلقة، نتدارس فيها بعض الأخلاق الاجتماعية، الإيجابية منها والسلبية، لنبين حَسَنَها، ونحذر من قبيحها وسيئها.

- **بداية**: الإسلام -كما قال العلماء-: عقيدة، وشريعة، وأخلاق.

أما العقيدة: فتقوم على أصول الإيمان وأركانه، مما يجب أن يَعتقِد به المؤمن ويُصدِّق به.

وأما الشريعة: فهي خمسة أقسام: (عبادات، ومعاملات، وأحوال شخصية -أسرة-، وقضاء، وسياسة شرعية).

وأما الأخلاق، فقسمان: ممدوحة: أُمِرنا بالتحلِّي بها، كالصدق، والأمانة، والوفاء بالوعد...

ومذمومة: أُمرنا بالتَّخلِّي عنها، كالحسد، والحقد، والبخل...

والخُلق: هو السجية والطبع. وعرفه الإمام الغزالي بأنه: (هيئة في النفس راسخة، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويُسر، من غير حاجة إلى فكر ورويّة).

فالإسلام عقيدة وشريعة وأخلاق، ولا يكتمل إسلام المسلم حتى يصحِّح عقيدته، ويلتزم شريعة ربه، ويقوِّم أخلاقه.

وإن المجتمعات عامة، والمجتمعات الإسلامية خاصة أحوج ما تكون إلى خُلُق حَسَن؛ يشدّ أواصرها وينمي روابطها، ويؤلف بين قلوب أفرادها، وهذا في جميع المجالات:

فالزوجان محتاجان إلى خلق حسن، يوثّق عقدة نكاحهما ويزيد الودَّ بينهما. قال النبي ﷺ: **«إذا جاءكم مَن تَرضَون دينه وخُلُقَه فأنكِحُوه»**[1]، فالخُلُق الحَسَن مطلوب في الزوج، وكذا هو مطلوب في الزوجة أيضاً؛ وخطَب عمر رضي الله عنه الناس فقال: (ما استفاد عبدٌ بعد إيمان بالله خيراً من امرأة حَسَنة الخلق ودود ولود، وما استفاد عبدٌ بعد كفر بالله فاتنةً شراً من امرأة حديدة -أي: حادة[2]- اللسان سيئة الخلق). [السنن الكبرى للبيهقي]

وكما يُحمد الخلق الحَسَن بين الزوجين يُحمَد ويُطلب مع الأولاد، والأرحام، والجيران، الأصدقاء..

ومثلما يُحمد الخلق الحَسَن في البيت يُحمَد ويُطلب في العمل، بل إن الخلق الحسَن سبب من أسباب التوفيق في العمل والسعة في الرزق، قال رسول الله ﷺ: **«حُسْنُ الْخُلُقِ نَمَاءٌ، وَسُوءُ الْخُلُقِ شُؤْمٌ، وَالْبِرُّ زِيَادَةٌ فِي الْعُمُرِ، وَالصَّدَقَةُ تَمْنَعُ مِيتَةَ السَّوْءِ»** [احمد وأبو داود]، وقال النبي ﷺ: **«حسن الخلق وكف الأذى يزيدان في الرزق»** [الديلمي].

واليوم بدأ عالم الاقتصاد يقنِّن الأخلاق ويجعلها معايير للجودة في المؤسسات الاقتصادية والأسواق التجارية، وقد كان التقييم للشركات فيما مضى يعتمد على أدائها المالي، أما الآن فقد تحوَّل التقييم إلى بُعدين: أخلاقي ومالي، وبدؤوا يضعون معايير لقياس الأداء الأخلاقي ويجعلونها على مستويات ثلاثة: (مستوى مقبول، مستوى جيد، مستوى ممتاز)، وكل شركة تريد ترخيصاً تخضع لذلك الامتحان.

بل إن الدراسات الميدانية بيَّنَت أن التزام الأخلاق يؤدي إلى زيادة الربح، وفي دراسة قام بها باحث أمريكي وازَنَ بين شركات تلتزم بالأخلاق الحسنة والمسؤولية الاجتماعية وبين شركات لا تهتم بذلك تبين أن متوسط نمو الربحية في الشركات الأولى حوالي 11% سنوياً، بينما في الثانية 6% سنوياً.

وقال الفُضيل بن عياض: إن الفاسق إذا كان حسَن الخلق عاش بعقله، وإن العابد إذا كان سيء الخلق ثقل على الناس ومَقَتوه.

فنحن بحاجة إلى الأخلاق الحسَنة في بيوتنا، في محلاتنا، في أسواقنا، في دوائرنا الحكومية، في كل مجال ندخل فيه، ولأجل ذلك جاء هذا البرنامج، جاء:

---

[1]() أخرجه الترمذي.

[2]() رجل حَديدٌ وحُدادٌ من قوم أَحِدَّاءَ وَأَحِدَّةٍ وحِدادٍ يكون في اللِّسَنِ والفَهم والغضب [لسان العرب].

1) <u>للتذكير بأخلاق نتعامل بها فيما بيننا، بعضها إيجابي لنعززه وننشره، وبعضها سلبي لنجتنبه ونَحذره</u>

فإن الأدب ليرفع المملوك حتى يُجلِسه في مجالس الملوك، وإن قلّة الأدب تهبط بالرجل العليّ إلى مكان دنيّ.

كن ابن من شئت واكتسب أدباً يغنيك محمودُه عن النسب

فالسبب الأول لهذا البرنامج: تعزيز الأخلاق الإيجابية، والتحذير من الأخلاق السلبية.

2) <u>لبيان أهمية الأخلاق وإيضاح فوائدها الدينية والدنيوية والأخروية:</u>

قال رسول الله ﷺ: **«إن المؤمن ليُدرِك بحُسنِ خُلُقِه درجة الصائم القائم»** [أبو داود]

وقال رسول الله ﷺ: **«إن العبد ليبلغُ بحُسن خُلُقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف العبادة، وإنه ليبلغ بسوء خلقه أسفل درجة في جهنم»** [الطبراني].

3) **<u>لنتقرب إلى الله ورسوله بالخُلُق الحسن:</u>** يقول النبي ﷺ: **«أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً»** [الحاكم]. ويقول ﷺ: **«إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً»** [الترمذي].

فالله تعالى يحبُّ حَسَن الخلق، ويقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:195]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة:42]، ويقول عليه الصلاة والسلام: **«أحبّ عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً»** [الحاكم].

فَحَسَن الخُلُق: قريب من الله، حبيب إلى الله، وكذا هو قريب من رسول الله ﷺ الذي شَهِد الله تعالى له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:4]، قريب من رسول الله ﷺ وحبيبٌ له؛ لأن النبي ﷺ يقول: **«إن من أَحبِّكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً»** [الترمذي].

فليهنأ صاحب الخُلُق الحَسَن بمحبة خالقه له، ومحبة رسوله ﷺ له، وليهنأ كذلك بزيادة عمره ورزقه: فعن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال لها: **«إنه من أُعطي حظَّه من الرفق فقد أُعطي حظَّه من خير الدنيا والآخرة، وصِلة الرحم وحُسن الخلق وحُسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار»** [أحمد]

ثم بعد ذا تكون الجنة والأجر الكبير بإذن الله: يقول ﷺ: **«أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسُن خلقه».**

وقال ﷺ: **«مَا مِنْ شَيءٍ يُوضَعُ فِي المِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيبلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِب الصَّومِ وَالصَّلاةِ»**[3].

- **أما سيئ الخلق فعلى الطرف المقابل:**

يبوء ببغض الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:190]، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران:57]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:36]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: 107]، ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ [النساء: 148]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: 58]، ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: 23]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: 38].

وقال ﷺ: **«إن الله كريم يحب الكرم، ويحب معالي الاخلاق ويكره سفسافها»** [الحاكم]، وقال ﷺ: **«إن الله ليُبغض الفاحش البذيء»** [الترمذي].

فأول ما يبوء به سيء الخلُق: بغض الله تعالى إياه، ثم يتبعه بغض رسول الله ﷺ: قال رسول الله ﷺ: **«إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون، قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال المتكبرون»** [الترمذي]، **«أحبكم إلي و أقربكم من مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا و أبغضكم إلي و أبعدكم مني مجلسا يوم القيامة أساوئكم أخلاقا»** [البيهقي في الشعب]

ولا يزال سوء الخلق يوبقه حتى يفسد عمله، ويذهب حسناته: قال رسول الله ﷺ: **«أتدرون ما المفلس؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس مِن أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثم طُرح في النار»** [مسلم والترمذي]، وقال رسول الله ﷺ: **«الخلق الحسن يذيب الخطا كما يذيب الماء الجليد، والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل»** [الطبراني في الأوسط]

---

[3]() رواه الترمذي وأبو داود.

ثم بعد ذلك عذاب النار: قال رسول الله ﷺ: **«إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف العبادة، وإنه ليبلغ بسوء خلقه أسفل درجة في جهنم»** [الطبراني]. وعن أم الدرداء قالت: (قام أبو الدرداء ليلة يصلي، فجعل يبكي ويقول: اللهم أحسنت خَلقي فحسن خُلقي، حتى أصبح، فقلت: يا أبا الدرداء، ما كان دعاؤك منذ الليلة إلا في حسن الخلق؟! فقال: يا أم الدرداء، إن العبد المسلم يحسن خلقه حتى يدخله حسن خلقه الجنة، ويسيء خلقه حتى يدخله سوء خلقه النار، والعبد المسلم يغفر له وهو نائم، فقلت: يا أبا الدرداء، كيف يغفر له وهو نائم؟! قال يقوم أخوه من الليل فيتهجد فيدعو الله عز وجل فيستجيب له ويدعو لأخيه فيستجيب له فيه) [البخاري في الأدب المفرد، والبهقي في الشعب].

ختاماً: قالوا: (من ساء خُلُقه عذَّب نفسه)، وقالوا: من سعادة ابن آدم حُسن خلقه، ومن شقوته سوء خلقه.

وقال الأحنف بن قيس: الداء الذي أعيا الأطباء: اللسان البذيء والفعل الدنيء.